طبق الاصل

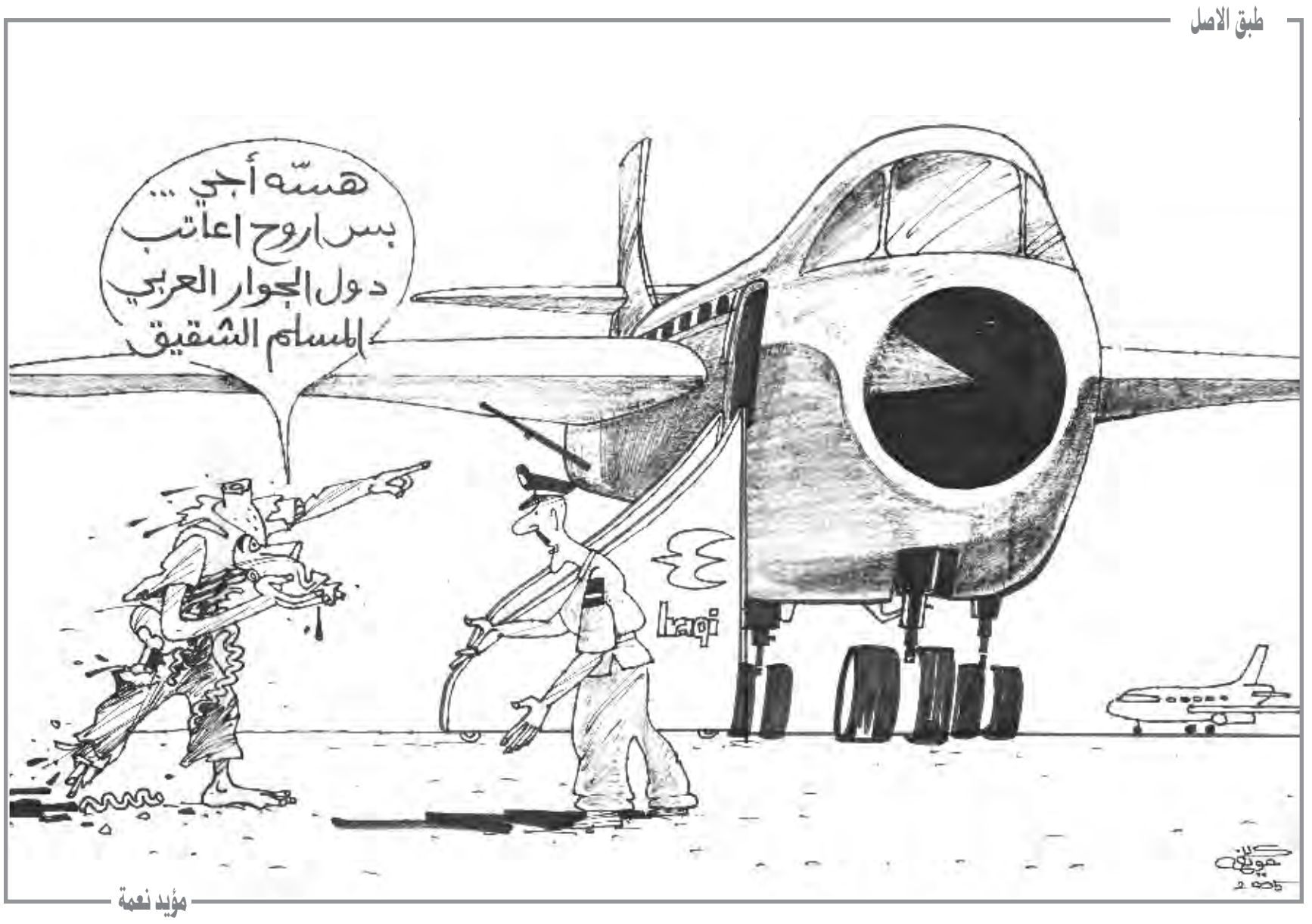

مؤيد نعمة

حوار مع غيلب

خاب امل العراقيين بالولايات المتحدة لكنهم يمقتون الارهابيين!

يسلي اتش. غيلب رئيس مجلس العلاقات الخارجية في الخارجة الاميركية، ومتخصص بشؤون الشرق الاوسط، ويعد من اللامعين في المجال السياسي. زار العراق والتقى عدداً من المسؤولين والبارزين في مجال الصحافة والمجالس المحلية. في هذا اللقاء يقدم انطباعه وآراءه بخصوص العملية السياسية الجارية في العراق والوضع الداخلي.

لقد بقيت في العراق عشرة ايام هل بامكانك ان تصف لي الاحوال هناك؟
قامت وزارة الخارجية بالترتيب لاجراء سلسلة طويلة من اللقاءات في اثناء تلك المدة. لابد اننا التقينا ٧٥٪ من الزعماء العراقيين في بغداد. التقينا مع محرري صحف ورجال اعمال وزعماء سياسيين واساتذة وعمداء في الجامعات ومسؤولين في المجلس المحلي. كما التقينا اعضاء في المجلس البلدي ليس فقط في بغداد في كركوك ايضاً وفي اربيل والسليمانية في الشمال. وهكذا قمنا بجولة هائلة على الزعماء العراقيين وجميع الاحزاب والمجموعات العرقية والدينية.
اعلن رئيس الوزراء الجعفري اعضاء حكومته وهي تضم ممثلين عن جميع الطوائف والعديد من النساء. فما مدى اهمية ان تكون الآن هناك حكومة قائمة؟ ثم لماذا استغرق تشكيلها زمناً طويلاً جداً؟
ان تشكيل الحكومة امر مهم والسبب في استغراقها هذا الزمن الطويل يعود إلى ان القيادة العراقية تعرف كيفية التصرف سياسياً وتعرف كيفية المساومة والتفاوض. هذا هو بعنيه ما قاموا به، وهم يفعلون ذلك بالاعتماد على انفسهم وعلى مسؤوليتهم، وهو امر بالغ الصعوبة حين نأخذ بنظر الاعتبار الاختلافات والصراعات التاريخية فيما بينهم. كانوا بحاجة إلى مساعدة من الخارج فتدخلت الولايات المتحدة في الامر فأعطتهم دفعةً قليلاً نحو الامام.
هذا يفسر سبب طول الوقت: لقد كان من الصعب تحديد الطرف المحق ضمن هذه المصالح المختلفة وفي ضوء الصراعات التاريخية.
لقد كانت الانتخابات مجرد بداية، وكون ان هناك حكومة قائمة الآن يمثل ايضاً بداية اخرى. سيديرون شؤون الحكومة بصورة احتضانية بدرجة او باخرى ومهمتهم الرئيسة ستكون عبارة عن دفع العملية السياسية إلى الامام للانطلاق نحو كتابة الدستور الذي هو عبارة عن اتفاق للتشارك في السلطة، وهذا هو الجوهري.
❖هل أن حكومة عراقية تضم جميع الاطياف ستساعد على اضعاف التمرد؟
-اعتقد انها البداية. ان من يعرف تاريخ حركات التمرد المسلح يعلم ان ليس بالامكان تسجيل نصر عسكري على التمرد. ان طريق النصر يكمن في الشرعية السياسية. يجب ان تكون لديهم حكومة وحق عادل يجعل الناس مستعدين للقتال والموت في سبيلها. وبهذا اعتقد ان الشعب والقوات المسلحة سيكونان على استعداد للقتال من اجل عراق موحد في حين ان التجزئة ستكون مسؤولة عن تنغيص حياتهم.
ان احد الامور التي ادهشتني (في العراق) هو انه إلى جانب الاحباط من الولايات المتحدة والغضب منها تجد كرهاً حقيقياً للارهابيين، وما يفعلونه في العراق، ان كانت هناك حكومة ديمقراطية بصورة معقولة، أي حكومة تسلك سلوكاً سياسياً حسناً، وحكومة ليست فاسدة بصورة بغيضة لأن الفساد في العراق يمثل مشكلة مخيفة، اذا توفر كل هذا فان الاغلبية الساحقة من العراقيين ستفضل هذه الحكومة على اية قيادة للمتمردين والارهابيين.
بموجب قانون ادارة الدولة المؤقت يفترض من الحكومة ان تنتهي بكتابة دستور جديد في آب ثم يصادق عليه الشعب بالتصويت في تشرين الاول. ان قانون ادارة الدولة المؤقت يجيز التمديد مدة ستة اشهر لولاية واحدة فهل تعتقد ان الحكومة الجديدة ستستفيد من ذلك؟
اعتقد ان الحكومة ستستفيد من ذلك لان هذه الوثيقة عبارة عن اتفاق نهائي حول كيفية الاشتراك والتشارك في السلطة المركزية وما هي السلطات التي ستؤول إلى المحافظات والاقاليم المختلفة، وما هو دور الدين في الدولة؟ وهكذا فان ذلك سيكون حقاً بين اخذ ورد وموضع مساومة وتفاوض. واذا ما اريد لهذا البلد ان ينجح ويسير فسيعتمد في جزء كبير منه على ما تتوصل اليه الاطراف من اتفاق يكتسب دعماً سياسياً ويكون بمثابة قضية تجعل القوات العراقية مستعدة للقتال والموت من اجلها.
❖جاء في العديد من المقالات الصحفية ان العنف المتصاعد الناجم عن التمرد في الاشهر الاخيرة سببه عدم وجود حكومة قوية، هل توافق على ذلك؟
- لا اعلم. من الصعوبة جداً الادلاء بشيء هنا. ان احد الاستنتاجات الرئيسة التي استقرت في مخيلتي عند زيارتي للبلاد هي ان من الصعب حصر ما يجري بدقة. لقد امضيت عشرة ايام شديدة هناك، وكان ذلك اطول بكثير مما امضاه أي من زعماء الادارة الذين ذهبوا إلى هناك مثل وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) الذي امضى نصف يوم ووفد الكونغرس الذي امضى ايضاً نصف يوم. لقد امضيت وقتاً كثيراً وانا اتحدث مع العراقيين واضعي اليهم ولم اشعر اني اعرف بدقة ما يجري تماماً، إلا انني عرفت بالمقابل الكثير من الحقائق.
تحدثت معهم من السفارة الامريكية ومن العراقيين لا يستطيعون استيعاب تصاعد وتيرة العنف في الاشهر القليلة الماضية وهم لا يستوعبون ما يجري بخصوص مجموعات التمرد المختلفة ومتى سينتهي ذلك ولماذا سينتهي؟
❖هل تحدثت إلى العديد من زعماء السنة؟ وهل يريدون ان يشاركوا في السلطة؟
-قبل كل شيء لا توجد قيادة سنية موحدة تعمل كمجموعة متواصلة كما هو حال الاكراد في الشمال والشيعة في الجنوب، وهناك تنوع متباين في القيادة السنية. هناك رؤساء العشائر الذين لم يحاولوا التدخل في ما هو ابعد من زعامتهم خارج مناطقهم الخاصة بهم، وهناك مجموعة الاخوان المسلمين التي هي اشبه بالجناح السياسي لـ (شين فين) في ايرلندا وهم يمثلون جزءاً من السنة.
ولم ينبثق بعد ما يشبه الائتلاف العراقي الموحد الذي يهيمن عليه الشيعة بصورة كبيرة او التحالف الكردستاني في الشمال الذي وحد الزعماء السياسيين الاكراد. ولديك الآن الشعور ان معظم السنة يأسفون لعدم مشاركتهم في انتخابات الثلاثين من كانون الثاني كي يكونوا جزءاً في المشهد السياسي. انهم يدركون ان ذلك يصعب عليهم اخذ حصتهم في السلطة في العراق والحصول على نصيبهم من عائدات النفط. وعليه فليس هناك شيء يمنعهم عن مشاركة اكبر في العملية السياسية ولكن السؤال كيف القيام بذلك؟
❖هل قضيت وقتاً مع رئيس الوزراء الجعفري؟
-طلب رؤيتنا مرتين غير ان الموعدين الغيا بسبب مفاوضات كانت تجري في الحكومة غير اننا تمكنا من مقابلة كبار مساعديه.
❖تعلمون ان حزب هذا الشخص كان ذات يوم على قائمة الارهاب الامريكية الا وهو حزب الدعوة؟
-اجل. لقد كان متورطاً في الحث على الارهاب وشيء من هذا القبيل. ولكن حزب الدعوة يتغير وان الشيعة او على الاقل شريحة كبيرة من زعمائهم يبدو الآن متلهفين للمشاركة في العملية السياسية ويأخذون دوراً قيادياً. ومن اجل الوصول إلى ذلك فانهم على استعداد للتفاهم.
في عام ٢٠٠٣ كتبت افتتاحية كانت موضع نقاش مستفيض في صحيفة "نيويورك تايمز" واقترحت فيها اقامة "حل الدول الثلاث" في العراق؟ هل لا تزال تؤمن بذلك؟
-نعم اعتقد ان من اجل المحافظة على الكل عليك ان يكون لديك حد اقصى من الاستقلال او الحكم الذاتي المناطقي. ان كلاً من الاقاليم الثلاثة - الشمال الكردي والوسط السني والجنوب الشيعي عليها ان تدير شؤونها الداخلية بصورة اساسية مع الحكومة في بغداد ذات السلطات المحدودة حول قضايا الدفاع عن الحدود والمحافظة على الموروث النفطي المشترك وتقاسم العائدات والصحة. وإلا فان الخطة لن تنجح. لقد بين الاكراد بوضوح كبير في كل مناقشة اجريناها معهم انهم لن يتنازلوا قيد انملة عن الحكم الذاتي القائم عندهم منذ اكثر من اربعة عشر عاماً. انهم سيستمرون في ادارة شؤونهم الخاصة بهم.
وهناك حركة سياسية قوية في الجنوب حول البصرة للقيام بالشيء نفسه، وحين ناقشنا ذلك مع السنة في الوسط كان من الصعب الوصول إلى موقفهم من ذلك، غير انهم يدركون انهم ان لم يكونوا ضمن ادارة الشيعة او الاكراد او ضمن تحالف مع هذين المكونين فان افضل صيغة لهم التمتع باقصى قدر من الحكم الذاتي الخاص بهم.
كنت اريد الوصول إلى تلك الفكرة ولكني اخبرت ان ذلك خطأ طالما ان خبراءنا المختصين بالشرق الاوسط يقولون ان معظم العراقيين ينظرون إلى الانتماء العراقي لا الانتماء العرقي او الديني وكان علي الاقرار بذلك من واقع ان هؤلاء يعرفون عن البلد اكثر مما اعرف. ولكن الذي ادهشني اني كنت على صواب وكانوا هم على خطأ.
والحقيقة انني لم اناقش ذلك مع المجاميع القيادية التي تحدثنا معها بل ان هذه المجاميع هي التي اثارته في سياق ما يعتقدون بوقوعه في المستقبل فاما التفاوض على صياغة الدستور واما اللجوء إلى الحرب الاهلية.
❖ينص قانون ادارة الدولة المؤقت على ان الدستور الجديد قابل للنقض ان صوت ثلثا المقترعين في ثلاث محافظات ضده. وهذا يعطي حق النقض لثلاث دوائر انتخابية كبرى فهل يعني هذا ان على المسؤولين الوصول إلى حلول وسط؟
-بالطبع. ولقد سألت رئيس الجمعية الوطنية حاجم الحسني وهو احد المساهمين في صياغة الدستور المؤقت وكان جوابه انهم صاغوه بانفسهم. وهناك خبراء جاءوا من امريكا واماكن اخرى اسهموا فيه غير انهم (أي العراقيين) الذين صاغوا الوثيقة التي استندت إلى القبول بالواقع والاختلاف المناطقي. وهم جميعاً يقولون اذا ما أرادوا طرح دستور فانه سيكون شبيهاً بقانون ادارة الدولة المؤقت.
انهم على دراية تامة بالسابقة التاريخية في الولايات المتحدة حيث كان هناك ١٣ مستعمرة اصبحت دولة وان معظم التشريعات في تاريخنا حتى الوصول "للصفقة الجديدة" هي تشريعات تؤسس لدولة موحدة.

هنري لورنس: لا شيء يحول دون وجود شرق أوسط ديمقراطي

هنري لورنس، باحث ومتخصص في تاريخ العالم العربي المعاصر. أصدر بضعة كتب عن المنطقة العربية، درس فيها واقع أنظمتها السياسية، ومكانها في العالم. كما أصدر كتابا بعنوان" العالم العربي في اللحظة الأمريكية"، هو آخر كتبه. نستعرض هنا بعضا من آرائه بخصوص التحولات التي تجري في المنطقة، بعد اجتياح بغداد.

يرى هنري لورنس أن ثمة بوادر في الشرق الأوسط تشي بخروجه من جموده السياسي، ذلك أن الأحداث والتحركات تتوالى في هذه المنطقة المعقدة سياسيا واقتصاديا. لكن هل أن هذه التحركات هي من نتائج التدخل الأمريكي في العراق في عام ٢٠٠٣؟ يعتقد لورنس أن الأمور أكثر تعقيدا بحيث توفر إجابة دقيقة على هذا السؤال. ففي هذا السياق، أن الأحداث الراهنة في لبنان، وفي فلسطين لها جذورها اللبنانية والفلسطينية الخاصة بهما. فالبلدان طالما عرفا التعددية السياسية على الرغم من الحروب الأهلية والصراعات الداخلية التي فتكت بهما. لكن أمورا كانت سببا في ظهور مثل تلك الأحداث في فلسطين، بيد أن هذه الأحداث تندرج في سياق تاريخ طويل. وكذلك الحال بالنسبة للتاريخ اللبناني، فقد حدث سابقا أن استقال رؤساء حكومات لبنانيون من مناصبهم في أعقاب تحركات شعبية. في سياق هذه الأحداث في عموم المنطقة وما يترتب عليها. وبخصوص لبنان، الذي شهد انقسامات دامت زمناً طويلاً، هل يتجه الآن نحو وحدة وطنية حقيقية؟ يقول لورنس أن من المبكر جداً القطع بذلك. لكن من خلال قراءة لما يظهر على المسرح السياسي الحالي، ربما يمكن القول أن ثمة جيلاً جديداً أخذ يفصح عن نفسه في هذه المرحلة. فالموجودون الآن في الشارع هم في غالبيتهم لبنانيون كانت أعمارهم في أواخر سني الحرب تتراوح ما بين الخامسة والسادسة. وبالنسبة لهذه الشبيبة اللبنانية فإن الذكرى الكبرى، والشعور الأكبر، يتجسدان في الاحتفال الشعبي الوطني الذي اقاموه في ساحة الشهداء، وسيتذكرونهما على مدى حياتهم كلها. فكل شيء يبتدئ من الروحانية، وكل شيء ينتهي عند السياسة بالمعنى السياسي للاصطلاح. ففي فرنسا، يقول لورنس، عاش الناس على مدى أكثر من ثلاثين عاما تحت شعور المرجعية إلى عام ١٩٦٨، وما حدث في بيروت سيبقى على امتداد عقود في قلب المجتمع اللبناني بوصفه رمزا للوحدة الوطنية. لكن هل أن ما حدث ويحدث في لبنان، وما آل إليه الصراع الإسرائيلي. الفلسطيني، وما يجري في فلسطين الآن، والانتخابات البلدية في السعودية، هل يجوز لنا عدها "تساقط قطع دومينو" تحركت بفعل ما جرى ويجري في العراق؟ يجيب لورنس بأن للضغوطات الأمريكية دورها فيما يخص العربية السعودية ومصر. ذلك أن حلفاء الولايات المتحدة يسيرون بخطى متثاقلة نحو الإصلاحات، وتراهم مجبرين عليها. إذ تظل الانتخابات في العربية السعودية تمثل انفتاحات محدودة. أما في مصر، فعلينا أن نكون واقعيين: إذ حتى لو جرت انتخابات رئاسية في المدة القادمة، وحتى لو كانت انتخابات تعددية، فسيكون مبارك من جانب، ومن ورائه الحزب الوطني الحاكم، وإدارة وصحافة تتلقى الأوامر، ومن الجانب الآخر مرشحون يجهلهم المجتمع المصري تماما إلى حد ما. أما هل يظهر إلى لورنس بأن السعي إلى شرق أوسط ديمقراطي، يعد هدفا واقعيا على المدى المتوسط أو الطويل؟ لا يعتقد لورنس أن هناك ما يمنع ذلك. لأن البنى الاجتماعية والاقتصادية تبيح ذلك، حتى في بعض المجتمعات التي لا تزال تضم نسبة عالية من الأمية. وهل ما زال في العراق أساس لعمل سياسي ديمقراطي، خارج عهد حكم الديكتاتور صدام، الذي من الممكن أن يظهر مرة أخرى إن لم تتوقف الصدامات الأهلية؟ يقول لورنس أن الحال يخاطر في الشروع بأشياء كثيرة من الصفر. فالعراق يشكل جزءا، هو وسوريا، من البلدان التي يحتمل أن تشهد سيناريو المجموعة الأوروبية، أي بدلا من سيناريو الانهيار وسيناريو إعادة الانبناء على رجل شديد. ومن هنا نخشى ظهور أنظمة في العالم العربي على غرار الأنظمة التي ولدت في آسيا الوسطى أو في القوقاز. وفي هذا العالم الذي تهيمن عليه القوة الأمريكية، لربما ثمة دور لأوربا وفرنسا أن تلعباه في الشرق الأوسط. ذلك أن الوجود الأمريكي وجود عسكري، لكن الاتحاد الأوروبي له حضور اقتصادي اكبر في المنطقة، ولاسيما، إذا ما عرفنا أن هذا الاتحاد منغمس في مجتمعات المنطقة من طريق التعاون التقني. ومن هنا يرى لورنس أن هذا الدور قد يكون كبيرا جدا لأنه يؤثر في أعماق تلك المجتمعات.

تجربة العراق المشحونة

لو يتحدث الناس في مناطق مختلفة من العالم فحديثهم يدور عن الدستور الاوربي وليس عن دستور العراق.
وبرغم ذلك فان ما يحدث في بغداد اليوم هو اكثر اهمية مما يحدث في باريس او لاهاي، لأن العراقيين يجدون انفسهم بمواجهة عنف قضى على حياة ما ينيف على ٦٠٠ شخص خلال شهر آيار وحده. كما ان على العراقيين ان يقوموا بما قام به الفرنسيون والالمان وغيرهم من الاوربيين، في الماضي، الا وهو ارساء ديمقراطية فاعلة من خلال اصلاح ما يمكن اصلاحه في تركة النظام البعثي ومبادئه التي اقترنت بالمستبدين ومهدت لهم الطريق.
الامر اكبر من جورج بوش وتوني بلير وقضيتهما التي شنا الحرب من اجلها. فهذه وغيرها من الاشياء المرتبطة بهما سينتهي مع انتهاء الاحتلال وعودة البلاد إلى مسارها الطبيعي.
بيد ان سعي الولايات المتحدة إلى اقامة شرق اوسط جديد على انقاض ماضيه تجعل الامر وكأنه حلم خيالي يقيم مدناً عامرة على نهر دجلة، مثل فيلادلفيا!
ان كلمات من قبيل "ديمقراطي" و"تعددي" تنطق بها رايس وهي خلف جدران المنطقة الخضراء الحصينة، وتبدو بلا معنى في بلد تتفاقم فيه البطالة، وتعاني من نقص حاد في الطاقة، وفوق هذا تنوء تحت التحريض الطائفي الذي تدفع اليه الاعتداءات الانتحارية، فقد تخلخل الوضع في اعقاب انتخابات الثلاثين من كانون الثاني الماضي ولربما سيصعب هذا الحال التوصل بخطى ثابتة إلى عملية انجاز صياغة الدستور (في ١٥ آب القادم) وإزاء حال كهذا لربما يبدو امر دفع هذا الموعد إلى ستة اشهر اخرى شيئاً محتملاً، لكن ان حصل هذا التأجيل فقد يزيد من موجة العنف ويطيل امده.
ان عملية صياغة الدستور والفراغ منها في الوقت المحدد تظهر هنا هدفاً جوهرياً مادامت تمثل فرصة لاحتواء العنف من خلال التوصل إلى حلول مع الاطراف التي يحتمل انها تشجعه. وعلى هذا الاساس تم توسيع الهيئة البرلمانية المكلفة بصياغة مسودة الدستور، من ٥٥ إلى ١٠١ عضو. وهذا ما سيمكن الهيئة من تحقيق التمثيل الواسع لشرائح المجتمع وعلى الاخص السنية، الذين قاطعوا الانتخابات.
هناك تجارب مماثلة عرفتها شعوب اخرى، كما ان لدى رجل الامم المتحدة (فنك هايسون)، وهو محام من جنوب افريقيا، خبرة كبيرة تفيد العراقيين اذ يذكر ان هايسون كان مستشاراً لنيلسون مانديلا، اضافة إلى انه يعد من الخبراء في مجال الاصلاح الدستوري وحل المشكلات الحكومية.
فالعراق الآن بحاجة لكل هؤلاء وغيرهم، ثم ان تثقيف الناس الذي على الحكومة الاضطلاع به هو امر لا يقل اهمية.
يجب القبول بان تجربة العراقيين مشحونة باشياء من قبيل الفدرالية والعلاقة بين الدين والدولة، كما ان قانون ادارة الدولة المؤقت ينص على انه لو رفض ثلثا المصوتين او اكثر من مجموع ثماني عشرة محافظة فعلى البرلمان ان يحل نفسه ويصار إلى انتخابات جديدة، وهذا يعني ان في ايدي السنة "فيتو" جاهزاً".
تنبغي الاشارة إلى ان الدستور سيكون نقطة الارتكاز التي ستحدد ستراتيجية انسحاب القوات متعددة الجنسية. لكن للأسف لا يمكن للعراقيين ان يتوقعوا نصيحة نافعة من الاوربيين - وربما من بينهم فاليري جيسكار ديستان الذي وضع وثيقة الاتحاد الاوربي المضطربة.

عن: (الفارديان)
ترجمة: عمران السعيدي